ماذا يقول الكتاب المقدس عن

المحبة والنعمة والرحمة والمعمودية

تأليف: أوين أولبرايت

بدون محبة الله ونعمته ورحمته يكون مصيرنا هو هلاك أبدي. لا نستطيع فعل أي شيء لنستحق به الخلاص ، أو يؤدي إلى الغفران. ولكن طبيعة الله وأعماله هي التي أتت لنا بالخلاص.

محبة الله

يوجد وصف لله في التعبير «الله محبة» (١ يوحنا ٤: ٨). محبة الله هي التي جعلته يبذل ابنه يسوع ليموت من أجل خطايانا. نحن مخلصين ليس بسبب هويتنا أو مكانتنا، أو بسبب أعمالنا الصالحة، بل بسبب طبيعة الله. نحن خطاة لا نستحق الغفران بل نستحق العقاب، ولكن الله عمل نيابة عنا:

> «ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رومية ٥: ٨).

> «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ٣: ١٦).

> «في هذا هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (١ يوحنا ٤: ١٠).

على الرغم من اننا لا نستحق محبته ينبغي أن نستجيب لله لكي ننال فوائد أعمال محبته. حثت المحبة الله ليخدمنا. يجب أن تحثنا محبتنا لله لنطيعه (يوحنا ١٤: ١٥ ، ٢١ ، ٢٣). انه يعمل لمنفعة الأبرار ولا يستمع إلى الأشرار: «لأن عيني الرب على الأبرار وأذنيه إلى طلبهم. ولكن وجه الرب ضد فاعلي الشر» (١ بطرس ٣: ١٢). هذا صحيح لأن الله لا يقدّر ما هو شرير. فقد قال عن ابنه: «أحببت البِر وأبغضت الإثم» (عبرانيين ١: ٩). انه يبغض «جميع فاعلي الإثم» (مزمور ٥: ٥).

الأشرار الذين لا يثقون في يسوع ولا يستجيبون لمحبة الله يبقوا تحت غضبه. يقول إنجيل يوحنا ٣: ٣٦: «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية. والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله». وأنذر بولس في الرسالة إلى أهل رومية ٢: ٥ قائلاً: «ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة». (أنظر أيضاً رومية ١: ١٨؛ أفسس ٥:٦؛ رؤيا ١٤: ٩ و ١٠).

محبة الله وغضبه لا يتناقضا مع بعضهما البعض، ولكن غضبه يأتي نتيجة لمحبته. يمكن وصف هذا بالكيفية التي قد نستجيب بها لحالات معينة. المرأة التي تحب زوجها حباً عميقاً تنزعج جداً إذا اشتهى زوجها نساء أخريات. ولكن إن لم تحب زوجها فانها لا تشعر بغضب نحوه – بغض النظر عن عدد النساء التي يشتهيهن زوجها. قد تكون محبة الله هي سبب غيرته وغضبه (خروج ٢٠: ٥؛ تثنية ٤: ٢٤).

لقد كلمنا يسوع وأرانا كيف نثبت في محبة الله. قال: «كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا. اثبتوا في محبتي. إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما أني أنا قد حفظتُ وصايا أبي وأثبتُ في محبته» (يوحنا ١٥: ٩ و ١٠).

محبة الله هي شرطية. **الإيمان والتوبة والاعتراف والمعمودية هي متطلبات وضعها الله والتي لا بد أن نفي بها قبل أن يخلصنا**. ينبغي أن نفي بهذه المتطلبات كنتيجة لمحبتنا له لكي نخلص. نحن نفي بالمتطلبات لكي ننال فوائد محبته وليس لكي نستحق محبته. ليس ولا واحد من أعمالنا يجعلنا نستحق محبة الله؛ ولكن لأنه قد حدد شروط معينة لا بد من الوفاء بها قبل ان يكافئنا، فينبغي أن نفي بهذه الشروط. «وإذ كُمِّلَ صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي» (عبرانيين ٥: ٩).

نعمة الله

تظهر الكلمة اليونانية «شاريس χάρις» ومقابلها في العبرية «هين חֵן» المترجمة إلى العربية «نعمة» ١٥٥ مرة في العهد الجديد. خلاصنا يتوقف على طبيعة الله. تقدم مقالة في معجم الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية «New International Dictionary» وصفاً لتعريف الكلمة «نعمة»:

> (١) بالتعبير الصحيح، ما يعطي بفرح، متعة، سرور، بهجة، رقة، لطافة؛ (٢) فضل، رأفة، رحمة، إلخ؛ (٣) لطف سيد العبد إلى عبده. وبهذا اصبحت النعمة تشير إلى لطف الله للإنسان (لوقا ١: ٣٠). يتضرع كُتَّاب العهد الجديد بالتكرار في نهاية رسائلهم إلى نعمة الله الكريمة أن تكون على قُرَّائهم (رومية ١٦: ٢٠؛ فيلبي ٤: ٢٣؛ كولوسي {١: ٢}؛ ١ تسالونيكي ٥: ٢٨). هذا بالإضافة إلى أن الكلمة «نعمة» تستخدم عادة للتعبير عن مفهوم الإحسان الذي يُقدم لمن لا يستحقه: الإحسان غير المُستحق، وخاصة ذلك النوع أو مستوى الإحسان المنعم به على الخطاة بيسوع المسيح (أفسس ٢: ٤ و٥). إذن النعمة هي فضل الله غير المُستحق على الإنسان الساقط الذي من أجل المسيح (ابن وحيد عند الآب المملوء نعمة وحقاً) (يوحنا ١: ١٤) – أعطى للإنسان فداء.

لا يمكن المبالغة في أهمية النعمة. نحن مديونين بسبب الخطيئة ولا نملك شيء نفدي به عن خطايانا. حجم الدين لا يغير شيء. إذا كان إنسان ما مديون بعشرة آلاف دولار، وآخر مديون بدولار واحد، ولكن ليست لأي منهما طريقة للوفاء بالدين الذي له، فسيبقى الاثنين مديونين. الجميع أخطأوا من غير دم المسيح (رومية ٣: ٩ ، ١٠ ، ٢٣)، ويستحقوا الموت (رومية ٦: ٢٣؛ يعقوب ١: ١٥) ولا نملك شيئاً يمكن أن نفدي به عن خطايانا.

الشخص الذي غُفر له دين مقداره عشرة ألاف دولار مثل الذي يُغفر له دين مقداره دولار واحد كلاهما يكونان متحررين من دينهما على حد سواء. الذين غُفرت لهم خطيئة واحدة والذين غُفرت لهم خطايا كثيرة كلهم مغفورة لهم خطاياهم وكلهم متحررين من خطاياهم على حد سواء. عندما انتقد الفريسي يسوع بسبب التعامل مع امرأة خاطئة، أجاب يسوع قائلاً: «... أقول لك قد غُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً. والذي يُغفر له قليل يحب قليلاً» (لوقا ٧: ٤٧). هذا هو جمال نعمة الله.

يسوع وهو مملوء بالنعمة (يوحنا ١: ١٤) قد أنعم علينا (يوحنا ١: ١٦). لا يمكن لأعمال الإنسان أن تمحي لطخة خطيئة واحدة (أفسس ٢: ٨). ولا يمكن لناموس موسى (يوحنا ١: ١٧) أن يحمل الخطيئة لأنه لم يأتي بالنعمة (غلاطية ٥: ٤). كتب بولس: «لستُ أُبطل نعمة الله. لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذاً مات بلا سبب» (غلاطية ٢: ٢١). نلنا برنا وخلاصنا «بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رومية ٣: ٢٤). نقرأ ما يلي:

> فإن الخطيئة لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة (رومية ٦: ١٤).
>
> فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال. وإلا فليست النعمة بعد نعمة ... (رومية ١١: ٦).
>
> لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد (أفسس ٢: ٨ و٩).

عمل الله هو الذي أتى لنا بالخلاص وليست أعمالنا.

مع أن نعمة الله، أي إحسانه غير المُستحق متاح لكل شخص (تيطس ٢: ١١)، إلا أن الجميع لم يحصلوا عليها. لأن هذه النعمة أُوجدت بيسوع (يوحنا ١: ١٧؛ رومية ٥: ١٥)، والذين لا يقبلون يسوع (يوحنا ١: ١١؛ ١٢: ٤٨) يرفضون نعمة الله. يسوع هو الذي من أجل نعمة الله دفع ثمن خلاصنا بدمه (أعمال ٢٠: ٢٨؛ عبرانيين ٩: ١٤؛ ١٠: ١٩ و٢٠؛ ١ بطرس ١: ١٧–١٩). إذاً له الحق في أن يعطي الخلاص لكل من يختاره وبأية شروط يختارها هو (عبرانيين ٥: ٩).

في الأصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية سأل بولس: «أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟»؛ «نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها؟» (الآيتان ١ و٢). هذان السؤالان يتضمنان على انه عندما ندخل

النعمة ينبغي أن نموت عن الخطيئة ونكف عن الاستمرار بالخطيئة. حدد بولس نقطة معينة في الزمان والتي فيها يحدث هذا، إذ طرح سؤالاً آخر: «أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته؟» ومن ثم كتب: «فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة» (آية ٤).

يمكن أن نستخلص من كلمات بولس هذه أنه عندما نعتمد ندخل نعمة الله. عندما نعتمد ليسوع (رومية ٦: ٣) ننال نعمة الله التي هي في يسوع كما نرى في الرسالة إلى أهل أفسس ١: ٧ والرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٢: ١. تربط هذه النصوص المعمودية بالدخول إلى نعمته. الذين لم يعتمدوا هم خارج المسيح، وبدون مسيح (أفسس ٢: ١٢ و١٣)، وبدون النعمة (غلاطية ٥: ٤) التي في المسيح. نعمة الله لا تُستحق عند المعمودية بل يتم الدخول إليها بسبب إيمان الشخص عندما يعتمد. لا ينبغي أن نفرض نعمته بالاستمرار في حياة الخطيئة. الذين «يستمرون في الخطيئة عمداً» بعد ما «تم تقديسهم» يزدرون «بروح النعمة». تقول الرسالة إلى العبرانيين ١٠: ٢٦-٢٩ ما يلي:

> فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين. من خلف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقاباً أشر تظنون أنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنساً وازدرى بروح النعمة؟

رحمة الله

الفعل «يرحم» (اليونانية: إليو ἐλεέω)؛ والاسم «رحمة» (اليونانية: إليوس ἔλεος) يعني «الامتناع عن إنزال العقاب على خصم أو منتهك قانون؛ وهو الرأفة التي تجعل الشخص يساعد الضعفاء والمرضى والمساكين»[1]. ويشمل أيضاً على عدم المطالبة بالوفاء بالدين (متى ١٨: ٣٣). على الرغم من أن النعمة تشمل على الرحمة إلا انها أكثر من النعمة. النعمة والرحمة كلاهما تمنعان عن معاقبة المذنب؛ ولكن النعمة أكثر من ذلك؛ أي اعطاء مساعدة لمن أخطأ.

إذا قام شخص لا منزل له بتخريب بيتاً ما، يمكن لصاحب البيت أن يعاقبه بعدل أو يطالبه بالتعويض عن الخسارة أو الضرر الذي تسببه. إذا امتنع صاحب البيت عن المطالبة بالدفع أو عقاب هذا الشرير، يظهر بذلك الرحمة. إذا سامح صاحب البيت هذا الشخص الذي قام بالتخريب وأعطاه مكاناً يسكن فيه يكون ذلك عمل نعمة.

بالنسبة للذين يعملون بمشيئة الله، رتب لهم الله برحمة الغفران والتحرر من العقاب. وبسبب نعمته خطط ليوفر حياة أبدية في السماء. رحمة الله تمنعه عن معاقبة الخاطيء وتحثه على اعطاء بركات غير مُستحقة.

«لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع» (رومية ١١: ٣٢)، توجد للرحمة علاقة بالغفران على الخطاة المطيعين الذين كانوا قبلاً غير مطيعين. قدم بولس نفسه كأول الخطاة الذي نال رحمة (١ تيموثاوس ١: ١٥ و١٦). ظهر غفران الله ورحمته لبولس في مدينة دمشق. قال حنانيا لبولس: «والآن لماذا تتوانى؟ قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب» (أعمال ٢٢: ١٦). عندما اعتمد بولس لم ينل رحمة الله بسبب انه قد استحقها؛ ولكنه حصل على الغفران الذي وفرته نعمة الله ورحمته فقط.

الخلاصة

على الرغم من اننا خطاة، إلا أن محبة الله ونعمته ورحمته تحثه على مساعدتنا. لا شيء يمكن ان نفعل يجعلنا نستحق مثل هذه البركات؛ ولكن لا بد من أن نطيع الله لكي نحصل عليها. الإيمان والتوبة والاعتراف والمعمودية هي ليست أعمال نقوم بها وتجعلنا انستحق بركات الله، وإنما هي متطلبات لا بد من الوفاء بها قبل أن يعطينا الله نعمته ورحمته وبركاته التي وعدنا بها.

---

[1] مقتبس من دوقلاس ومريل تني

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧